العرب
الجمعة 2020/03/20
السنة 42 العدد 11652

فيلم صيني ينتصر للعائلة وسعادتها

«الحلم الكونفوشي»: صراع لا ينتهي بين الحداثة والتقاليد

مخيّم صيفي بعلّم الأطفال التقاليد الكونفوشيّة

يكتسب الشريط المصوّر أهميّته من القدرة على تحفيز أفكار المشاهد وتخليق جماليات انفعالية لديه حصيلة التفاعل مع ما هو مشترك إنساني؛ وذلك من خلال كيفية تقديم الحدث فيه. وليس غريبا أن يدرج الفيلم التسجيلي الصيني الطويل "الحلم الكونفوشي" في هذا الباب بما قدّمته مشاهده من صراعات متداخلة على غير مستوى، تتجاوز البيئة الثقافية التي صدر عنها.

د. سمية عزام
كاتبة لبنانية

تأخذنا المخرجة والمصوّرة الصينية ميجي لي في أول أعمالها التسجيلية الطويلة "الحلم الكونفوشي" (87 دقيقة، إنتاج صيني -أميركي)، مع الشخصية المحورية "تشاويان" (34 سنة)، بمآزقها العائلية وفي رحلة تحوّلاتها النفسية والروحية. نجد أنفسنا أمام شبكة علاقات مأزومة بين هذه الأمّ لطفل وحيد "تشن" (بسنواته الخمس) وبين زوجها، ومع والدته، مرورا دائما بما ينتابها من أسئلة تتنازعها حيال ما هو صحيح وجيّد في تربية ابنها، وسلوك يعود على عائلتها بالسعادة.

أزمات ذاتية وعائلية

العنوان المحوري الذي تندرج ضمنه هذه المشاعر المحتدمة هو الحداثة - التقاليد، بسؤاله الرئيسي: ما الطريقة الأنسب لتربية تشن، هل وفق متطلّبات العصر الإنتاجي - الاستهلاكي، وما يستدعيه من تنافس، أم باختبار حياة مختلفة بالعودة إلى الثقافة الكنفوشيّة المتجذّرة منذ خمسة آلاف عام، والتي تُعنى تعاليمها بأخلاقيات الفرد وبحياته الروحية، وبتناغم العلاقات الاجتماعية؟ فكيف تصوّر لنا المشاهد هذه الأزمات الذاتية - العائلية، وتصعّدها انتهاءً بلحظة الحقيقة المنبجسة عن سلسلة تجارب مرّت بها تشاويان لترسم خاتمة سعيدة لها ولعائلتها؟

وجدت تشاويان المختصّة في مجال تقني، بعد زيارة عمّتها عام 2009، تناغما وغبطة بسودان العائلات، ومردّ ذلك تطبيق التعاليم الكونفوشيّة. هذه الزيارة كانت العنصر المفارق في حياتها، فقرّرت أن تدرس هذه التعاليم لتمنح عائلتها السعادة.

يفتتح المشهد بتصوير تشاويان ترتّل في الكتاب الكلاسيكي في مسكنها، وهذا ما يحتلّ مساحة كبيرة من المشاهد المكرّرة تارة وحدها وتارة أخرى مع ابنها، تدرّسه ويستظهر لها ما حفظه من فصول، وصوت المذياع يبث تراتيل وعظات كونفوشيّة باستمرار.

إنّما ثمة مشهد بانورامي مُبكر لمدينة الإسمنت والزجاج والضجيج تتأمّله تشاويان في لقطة تفصح عن فراغها ورفضها لإيقاع هذه الحياة، واتّخاذ قرارها تاليا بالتغيير.

وتنتقل عدسة الكاميرا لرصد الحياة اليومية لنساء عاملات، ولها مع عائلتها، كاشفة الصرامة التي تتعامل بها مع الزوج والابن على وجه الخصوص، مع ملاحظة غياب أيّ حوار بينها وبين حماتها التي تقيم معهم في الشقة الضيّقة.

يغيب الجوّ المرح والعفويّة بين أفراد الأسرة، وتظهر تشاويان متسيّدة، وصاحبة القرار في أيّ أمر، لا سيما في شأن إرسال طفلها إلى مخيّم صيفي ليتعلّم التقاليد الكونفوشيّة، ذلك بعد أن تريه مقطع فيديو لأنشطة أطفال المخيّم.

تركّز الكاميرا على وجه الأب الصامت وندرة كلامه في وضع كأنّه مسلوب الإرادة، كما والدته التي تواصل عملها مستاءة من هذا القرار الذي حرمها حفيدها، وحيث تفصح في مشهد لاحق عن غضبها من ابنها الذي لا يعترض، ومن زوجته التي ترى أن طريقة تربيتها هي المثلى، فتدّعي أنّها على صواب والجميع على خطأ.

وتضيف (أمام الكاميرا) أنّها تدرس التعاليم لكنّها لم تكتسب أيّا منها. أمّا من وجهة نظر الزوجة، فأسلوب الجدّة لا يناسب ابنها؛ إذ تجد دلالا مفرطا لا يزرع في نفسه قوة الإرادة والاعتماد على النفس. وفي السياق نفسه نشاهد حوارا بين الزوج وأمّه حيال استيائها، حيث يحتجّ موضحا أنها زوجته وينبغي أن يحتمل طباعها، فهي لا تتعمّد إغضاب أحد، بل إنّ فلسفتها في الحياة تؤزّم العلاقات مع الجميع.

مشاهد مفاتيح

هذا التفاوت بين التعاليم الأخلاقية والسلوك - النتيجة وجّه عدسة الكاميرا في اختيار المشاهد لتحرّكات تشاويان حين لم تحقّق الغاية المرجوّة. وثمة لحظات درامية لافتة نتوقّف أمامها، كأنّما هي محطّات بنت التحوّلات، أذكر ثلاثة منها:

أولا، الطفل تشن في المخيّم، يفتقد والديه، وينتظر عودتهما يوميا لاصطحابه، وفي اتصال هاتفي معهما يبكي، جاعلا أباه يتأثر موضّحا لزوجته أنّ هذه التعاليم لا تناسب سنّ ابنهما، فهذا الضغط سيحدث لديه انفجارا.. لتتكرّر المشاجرات بينهما وصولا إلى مشهد حاسم لنقاش عنيف أمام الطفل يترك الأب على إثره الشقة.

في المشهد الثاني، تلاحق الكاميرا تشن وهو يمسك بثياب أمّه تارة، ويذهب ليشدّ والده تارة أخرى، في لعبة حركية - صوتية تكتم النفس من تصعيد كلامي ينتهي بصوت الصفير، يرافق وجه الصغير الحائر، ليعود صوته الطفولي الضاحك راكبا درّاجته، ربما هربا من هذه الضغوط.

أما المشهد الثالث، فقد جاء بعد رفض المحكمة طلب انفصال تشاويان عن زوجها، وانتقالها للعيش مدة عند صديقتها، ومن ثمّ في شقة مستقلة، ومواظبتها على دراسة التعاليم الكونفوشيّة ومتابعة المحاضرات.

وفي لقطة مضاعفة لوجه تشاويان تظهر تأثّرها بكلام المعلّم عن أثر الشجارات العائلية في نفس الابن، حين يقول "إذا تشاجرت مع زوجك أمام ابنك، فهذا سيجعل جانبه الأيسر يتشاجر مع جانبه الأيمن. وإذا لم تعترفي بأخطائك، فكيف تريدين أن يكون ابنك؟". لتطلب تقديم شهادة في حصة لاحقة تعترف فيها أن كلّ ما تعلّمته من تعاليم أخلاقية لم يوصلها إلاّ إلى المزيد من التعاسة لأسرتها والتفكّك. واكتشفت أنّها خلال تعليم ابنها كانت تنضج ويتفتّح وعيها، وينموان معا.

لعلّ الأمكنة المختلفة التي صوّرت فيها تشاويان وتشن بين شقتي والده ووالدته، ومع جدّيه لأبيه أو جديه لأمه، خير دليل على التشرذم، وإبراز الصراعات المتقاطعة والتفاصيل الخلافية بين الزوجين.

وفي مفهوم كل منهما للسعادة: التلقائيّة وبعض الراحة، أو المشقّة طلبا للكمال، يرتسم حوار الزوج برغبته في التحدّث مع ابنه عن الاستراتيجيات ليكون ناجحا في مجتمع السوق والأعمال، ومع الزوجة، التي على الرغم من نيلها درجة الماجستير في تخصّص علمي، لم تجد أمثولة واحدة أسهمت في توجيه حياتها. فدأبت على فهم ثقافة الاكتفاء والتقشّف لترسيخ المعنى الحقيقي للحياة في ابنها طلبا للسعادة؛ وهو ما ينقص هذا العالم الاستهلاكي ذي الإيقاع السريع.

المعلّم قال "لا قطعة من الثياب صنعت بسهولة. كل وجبة طعام احتاجت عملا شاقّا للحصول عليها. طبق أرزّ وكوب حساء يكفي".

ويقول أيضا "ينبغي أن أطبّق ما أتعلّمه. أن أكون ما أقرأ. أتأمّل ذاتي يوميا ثلاث مرّات لأرى إذا كنت خلوقا مع الآخرين، وإذا كنت مخلصا مع أصدقائي".

> التفاوت بين التعاليم الأخلاقية والسلوك وجّه الكاميرا في اختيار المشاهد لتحرّكات البطلة حين لم تحقّق الغاية المرجوّة

تنسجم هذه المقولات مع نصح الأصدقاء في جلساتهم؛ إذا لم يتوفّر السلام في المنزل، فلن يتمكّن تشن من تعلّم أيّ شيء. نأخذ أحيانا خطوة واحدة إلى الوراء لنتقدّم خطوات إلى الأمام، وإذا كنّا نحارب من أجل الأشياء الصغيرة فلا ننتهي أبدا.

في توقيت تصوير ذكي بتقنية الفلاش باك من خلال ألبوم صور فوتوغرافية وتسجيلات فيديو، عودة إلى البدايات، للتعبير عن تأمّل تشاويان في قرارها، مستعيدة ماضيها مع زوجها زميل الدراسة (2000)، وزفافهما في العام 2008، وإنجابهما تشن.

تتحدّث عن انكسار أحلامها في رجل كانت تعرفه مليئا بالأفكار والطموحات، ولم يعد كما كان. إنّما النقطة المحورية هي وجود طفل تريد تكريس حياتها له بعد عدولها عن قرار إخباره بأنها ستبقى لأجله، الأمر الذي سيؤلمه حين يكبر، وهو لم يكن مطلبه كما تحدس بمُحاجّته لها مستقبلا.

"الحلم الكونفوشي" ينتصر للعائلة والتضحية في سبيل سعادة الجميع، "فالأولاد لا ينتمون إلينا، إنّنا نقودهم في جزء من الطريق فقط، ليأخذ كلّ منا مساره الخاص". هكذا اقتنعت بحديث زوجها بعودة الحوار بينهما بعد أكثر من سنة، لينغلق المشهد الختامي على لقطة في المستشفى تجمع الأبوين مع تشن وأخته المولودة حديثا، بعد ثلاث سنوات من لمّ شمل العائلة.

الفيلم يسائل الطريقة الأنسب لتربية طفل، هل وفق متطلّبات العصر الاستهلاكي، أم باختبار حياة مختلفة

ياسمين رئيس: «لص بغداد» غيّر مساري الفني

بدأ البعض من الفنانات في مصر يعيد اكتشاف مواهبه، ما يجعل من هؤلاء الفنانات يقدمنّ أعملا جديدة، يمكن من خلالها جذب انتباه الجمهور، بعد أن انصرف قطاع منه، جريا وراء الأعمال الأجنبية التي تتّسم بالإثارة والحركة، ولذلك تحاول فنانات مصريات إيجاد مكانة لهنّ من خلال سبر أغوار هذا الطريق.

إنجي سمير
كاتبة مصرية

القاهرة - بحثت الفنانة المصرية ياسمين رئيس عن المناطق الرمادية في الفن المصري والتي لا يظهر فيها غالبية الفنانين والفنانات من جيلها، وسعت إلى طرق أبوابها عبر الارتكان على الأدوار الكوميدية القائمة على الحركة، في محاولة لإيجاد صبغة خاصة من الممكن أن تسدّ الفراغ الذي نشب نتيجة عزوف بعض الفنانات عن أدوار الكوميديا الصعبة، والتي تحتاج لقدرات خاصة لا تتوفّر لدى كثيرات.

على مدار مشوارها الفني الممتد لتسع سنوات، قدّمت رئيس أربعة أفلام كوميدية هي "إكس لارج"، "صنع في مصر"، "بلاش تبوسني"، ونهاية بـ"لص بغداد" المعروض حاليا في قاعات السينما المصرية، وحقّق أعلى إيرادات في موسم إجازة منتصف العام الدراسي، وأيضا أعلى انطلاقة في تاريخ شباك التذاكر الخاص بها. غير أنه في المقابل واجه العديد من الانتقادات لضعف قصته وتكرارها، مع وجود مشكلات إخراجية في طريقة تصوير مشاهد الحركة، والتي بدت فيها ياسمين رئيس خفيفة الظل أيضا.

وقالت الفنانة المصرية في حوارها مع "العرب"، إنها تبحث عن تقديم الأدوار الكوميدية، ولكن بشكل مختلف حيث لا يكون هناك اعتماد على المواقف فقط، وهذه المرة اختارت أن تلعب دورا به قدر من الكوميديا، لكنه أيضا يشمل العديد من مشاهد الأكشن. وأنها حاولت تحقيق التوازن بين الأمرين من خلال إبراز المواقف الطريفة لبطلة الفيلم التي تخوض بعض المغامرات بطريقة لا تخلو من الطرافة، ولذلك تتمنى أن يكون "لص بغداد" نقلة نوعية في مسيرتها الفنية.

وتؤدي ياسمين رئيس دور البطولة في فيلم "لص بغداد"، وتجسّد خلاله شخصية "سلمى سليمان" الفتاة المهووسة بالتاريخ حتى تتعرّف على "يوسف الراوي" ويجسد شخصيته الفنان محمد عادل إمام، وهو ضمن مجموعة لصوص آثار من المحترفين يحاولون الوصول إلى المفاتيح المخبّأة في قطع أثرية منتشرة حول العالم، وتشكّل معا الوسيلة نحو السيطرة على مقبرة الإسكندر الأكبر، ليقوم باستغلال الفتاة حتى يقع في حبها ويقرّر الزواج منها في النهاية.

وأضافت لـ"العرب"، أنها بحثت عن ترك بصمتها الخاصة في دور الفتاة المثقفة الكوميدية، لأن شخصية سلمى عاشقة التاريخ والمغرمة بالدراسة والبحث في علم الآثار جذبتها، فضلا عن الاهتمام بنفسها، وظهرت في صورة مختلفة عن الفتاة النمطية المثقفة والتي ترتدي دائما النظارات الطبية والملابس البسيطة.

وظفت رئيس رشاقتها الجسدية في تقديم مشاهد الحركة وأدت مشاهد القفز من أعلى أسوار المتاحف التي تسللت إليها، وانهماكها في مشاهد الشجار المختلفة مع اللصوص بنفسها من دون الاستعانة بمؤدي حركة، ما ساعدها على حجز مكان في أدوار الأكشن التي تبدو أنها تتماشى مع تركيبتها الجسمانية.

وأوضحت أنها خاضت غمار التحدي في أكثر من موقف أثناء تصوير الفيلم نظرا لصعوبة بعض المشاهد، وتلقت تدريبات شاقة لرفع معدلات لياقتها البدنية عبر الاستعانة بمدربين محترفين في الحركة والقتال للتدريب على مشاهد الهروب من المتحف والدخول إلى مقبرة مظلمة، وأن الأمر انعكس على باقي أبطال العمل.

أحد هذه المواقف ارتبطت بمشهد غرقها تحت الماء، وأشارت رئيس إلى أنها تلقت العديد من جلسات الغطس الفردية وحرصت خلالها على التعرّف على كيفية التحكّم في ملامح وجهها تحت الماء، واستطاعت تجسيد المشهد وهي تفتح عينيها على آخرهما لفترة طويلة، حتى تعرّضت للإغماء.

وبالرغم من ميلها نحو الأفلام الكوميدية، إلا أن النجاحات التي حقّقتها ارتبطت بالأدوار التراجيدية والرومانسية، وبالتحديد حينما أدت دور البطولة في فيلم "فتاة المصنع" قبل ست سنوات. وهو فيلم قدّمت فيه دور فتاة عاملة تنجذب لمغامرة حب عابر للطبقات الاجتماعية، لتقف وحدها في مواجهة المجتمع بتقاليده القاسية وخوفه من الحب، واستطاعت أن تحصد من وراء هذا الدور ست جوائز من مهرجانات مختلفة.

> ياسمين رئيس تبحث عن تقديم الكوميديا في السينما بصورة مختلفة، سعيا منها للتميّز عن بنات جيلها في هذا المجال

وأكدت ياسمين في حوارها مع "العرب"، أنها بالفعل تعتبر فيلم "فتاة المصنع" من أهم التجارب في حياتها، لأن المخرج الراحل محمد خان أخرج من داخلها موهبة وانفعالات قوية، وهو بالفعل أثر فيها للغاية، لكنها لم تتراجع بعده، واستطاعت أن تحقق نجاحا جماهيريا على المستوى الدرامي من خلال مسلسل "أنا شهيرة أنا الخائن"، بالإضافة إلى النجاح الذي حققه فيلم "هيبتا".

وأضافت "لا أبحث عن البطولة المطلقة بقدر حاجتي لأداء الأدوار التي تساعدني على إظهار إمكانياتي الفنية المختلفة، وبالتالي فإن خطواتي الفنية محسوبة، والبطولة الجماعية لها مستقبل كبير، كما أننا مازلنا في حاجة لسيناريوهات مكتوبة للمرأة خصيصا للتشجيع على البطولة النسائية، والتشجيع على مناقشة القضايا التي تهم المرأة بشكل عام".

وتعود ياسمين رئيس للتعاون مع زوجها المخرج هادي الباجوري للمرة الرابعة في فيلم "جارة القمر" الذي بدأت تصويره منذ أيام قليلة، بعد مسلسل "عرض خاص" الذي لاقى نجاحا جماهيريا صاخبا، ثم فيلم "واحد صحيح" لتشارك في أول بطولة مشتركة لها، ثم بطولة فيلم "هيبتا"، والمصنّف كأعلى فيلم رومانسي تحقيقا للإيرادات في شباك التذاكر المصرية.

وتواصل الفنانة الشابة تصوير مشاهد فيلم "الحارث" صحبة الفنانين أحمد الفيشاوي وعلي الطيب ونهى عابدين وأسماء جلال، وينتمي لنوعية الرعب والأكشن، ومن إخراج محمد نادر جلال في أول أفلامه السينمائية الطويلة، والذي لم يتم تحديد موعد طرحه في دور العرض بعد.

جمعت بين الأكشن والكوميديا في «لص بغداد»